يفهم لغتهم مما يتيح لفنونهم جوا من الصراحة لا تتاح للامريكيين انفسهم ، ام قالوا ، نحن لا شأن لنا بالعربة التي تنقلنا » ؟ و « هل شاركوا في معارك الحرية في الشرق العربي بالرسائل والتوجيهات المشجعة والمتطوعين في ثورة ١٩ او الثورة العرابية او المهدية او الثورة العربية الكبرى ، وكلها اشكال للتعبير الصارخ عن التمرد على السلطان الجائر والاوضاع التي « ثاروا » عليها او هربوا منها » ؟

اغلب الظن ان الجواب سيأتي منصفا للشعراء المهجريين طالما ان الكاتب يقول . « ... وآمن بنفسه رسولا لبني وطنه ، وراندا على طريق التعبير الجميل عن المثل العليا » ويحدثنا الكاتب عن العطاء النبيل السخي ، ثم يقف عند عطاء الشعر المهجري في الطبيعة ، وربما كان ضيق الكتاب سببا في عدم وقوفه طويلا عند انواع العطاء الانساني لهؤلاء الشعراء باعتبارهم بشرا وعربا وهاربين او ناجين من ظروف جائرة .

والكاتب يأتي بنماذج جيدة تصور كل الذبذبات الانفعالية عند الغرباء في مهجرهم البعيد ، ومن خلال المعالم التي وضعها في بحثه نستطيع أن نفهم كثيرا من شعر المهجر فهما جيدا . وربما خرجنا بنتائج مناقضة تماما لما وصل اليها ولكنا في النهاية ندين للكاتب الشاعر أنس داود بالفضل حتى فيما نختلف فيه معه ، فلولا انه قام ببناء الساحة وحدد معالم اللعبة لما كونت قدراتنا فرقة مضادة لا تدفعها الى الساحة روح المنافسة أو الرغبة في الكسب .

فالكاتب مثلا يحس في هجرة شعراء المهجر انتصارا ونبوة وريادة وعطاء سخيا ، وانا ارى في هجرتهم هزيمة يائسة ومرارة جليدية ورمادا متراكما ، وانا أفتح في الكتاب ص ١٠١ لاجد الدليل للرأي المضاد حين اقرأ قصيدة « النهر المتجمد » للشاعر ميخائيل نعيمة وهو يتحدث عن الروح العربية المتوهجة كيف جمدتها الغربة :

« يا نهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
ام قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنما ، بين الحدائق والزهور
واليوم صرت اذا اتيتك ضاحكا ابكيتني
... وها انا وحدي ، ولا تبكي معي
ما هذه الاكفان ؟ ام هذي قيود من جليد الخ الخ »

هل احتاج الى شرح القصيدة وتحليلها ـ لقارىء الاداب ؟ ـ لنشاهد اي معتقل قاس واي سجن رهيب يعقد خطوات الفنان في مهجره ، اذ « تساوت الايام فيه صباحها ومساؤها ، وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها ، وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى أحد !.. والشاعر الياس فرحات يرينا كيف « غاضت المياه فيها ، وغاض البشر والرفاه ... وجفت الفروع » .

وربما اسقط دعواي ان مصباحهم الملهم هو المذهب الرومانسي بعد ان هزم ، وفقد ثوريته ، وعم اليأس النفوس ، واحس بالدمار مجتمع كان جامح الامل ، فالزعماء قد تساقطوا عند اقدام الاعداء لاعقين احذيتهم .. ربما ، ولكن استجابتهم الى هذا المذهب انما هو دليل الاستعداد والملاءمة الوجدانية وتجانس النفس مع هذا المذهب الحزين المهزوم .

« انا لست الا ومضة الذكرى ...
على تقطيبة الصخر الكئيب الصامت »

وانا لا اريد ان ادخل في محاجة مع الكاتب الشاعر أنس داود ، وانا لا املك الاضافة الى ما قدم ، كل ما اريد ان اؤكده ، ان هذا البحث صعب وطويل سلمه وان المثل الذي نقدمه على زعم ان الشعر المهجري « كل شيء » قد يحمل في نفس الوقت دليلا على ان الشعر المهجري « لا شيء » . وامام هذا البحث الجيد الذي يملأ فراغا في المكتبة النقدية لادب المهجر ، ارى ان كتاب « الطبيعة في شعر المهجر » قد صنع شيئا رائعا يمهد للاروع الذي ننتظره في دراسات مقبلة .

القاهرة — ابراهيم شعراوي

العاشرون بلا واحة

مهداة الى الصديق الاستاذ كامل أيوب ـ الذي ازال لحيته الصناعية .. ثم عاد للشعر ، وتزيا بزي الفرسان .. بعد عودته من بلاد البترول

ما زلت احاول ان اصعد درجات السلّم
لا تتبسم حين تراني أتعثر ... لا تتألم ..
لا تتظاهر قدامي انك ترتي لي .. أتحطم
سبعة جدران أهدمها ثم تعود ، تصد الريح
سبعة غيلان أقتلها ، من دمها تولد غيلان
وأنا انسان لا يملك الا أسلحة الكلمات
والعمر يمر كلمح البرق ، ويمرق حولي كالعربات
الساعة ان دقت .. نزعت غصنا من شجرة
سقطت زهرة ..
جفت من جدول أيامي قطرة
يا من تعبر قدامي مشدود الخطوة والقامة
لا تحسب زادك لن ينفد ان قاتلت مع الفرسان
عابر صحراء ستعيش اذا ما ثرت ....
سبعة أسياف تتقصف ثم تعود بلا نيشان
وتموت بلا مأوى ... في الثلج تموت
يا للهمِّ اذا ما حطَّ على الكتفين ..
على العينين ، على الاذنين
تصحو طفلك فوق الصدر ..
تنام وطفلك فوق الصدر ..
يمصك حتى باب القبر
لا يخدعك بريق الكلمة حتى كلمات الشعراء
فتحوا الجعبة ، نثروا الحكمة من آيات أو أبيات
والانسان ، كما قد كان هو الانسان
وجه يهوذا ، والدجال ، وراسبوتين بكل مكان
أبدا لا تفتح أعماقك للافعى ذات الاجراس
أبله ، من لا يوصد مثلي كل نوافذه للناس
من يدري ، من أكل طعامك قد يغدو ـ يوما ـ نخاس

القاهرة — كيلاني حسن سند